رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

ترتيب الله العجيب للحساب (٤: ١-٣، ٥)

تأليف: دفيد روبر

أصبحنا الآن مستعدين لنبدأ بدراسة الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية، والذي يحتوي على لب حديث بولس عن التبرير بالإيمان. يتركز هذا الدرس على آيات قليلة في بداية هذا الأصحاح وستكون كمقدمة له.

أريد أعطاء اهتمام خاص لكلمة «حُسِبَ»: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» (آية ٣). كلمة «حُسِبَ» مترجمة من أحد أشكال الكلمة «لوقيزوماي λογίζομαι». استخدم بولس «لوقيزوماي λογίζομαι» (بمختلف الأشكال) أحد عشر مرة في الأصحاح ٤. إن أصل كلمة «لوقيزوماي λογίζομαι» هو «ليقو λέγω» (أي «أقول»)، ولهذه الكلمة صلة بكلمة «لوقوس λόγος» (أي «كلمة»). وكانت لها عدة معاني في أيام بولس[١].

كانت تُستخدم كلمة «لوقيزوماي λογίζομαι» في الحسابات. يوافق معظم المفسرون أن هذه هي الطريقة التي استخدمها بولس في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية. كتب جون آر دبليو سكوت ما يلي: «انها تعني يضع في الرصيد {أي في الحساب} أو «يقدِّر». لقد أسميتُ هذا الدرس «ترتيب الله العجيب للحساب». قال أ دي بورتون اننا نجد أنفسنا في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية في «غرفة الحسابات للمحاسب العظيم»[٢].

أتمنى أن أشرح لك بطريقة يمكنك أن تفهم بها ترتيب الله العجيب للحساب». انه يعطيك رؤية جديدة في حياتك المسيحية ويأتي بالفرح إلى القلب الأليم.

[١] لاقتنا كلمة «لوغيزوماي λογίζομαι» من قبل في هذه الرسالة إلى أهل رومية ٢: ٢٦ و٣:٢٨.

[٢] إي دي بارتون في تفسيره بعنوان «Galatians: International Critical Commentary»، صفحة ٤٤٧.

«فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» (٤: ١-٣)

مثال موقر (الآية ١)

يبدأ الأصحاح الرابع هكذا: «فَمَاذَا نَقُولُ ...؟» تشير كلمة «فَمَاذَا» إلى كلام بولس الافتتاحي عن التبرير بالإيمان في رومية ٣: ٢١-٢٦. «فَمَاذَا نَقُولُ إِنَّ أَبَانَا[٣] إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟[٤]» (٤: ١). كلام بولس في الأصحاح الرابع موجه بصفة أساسية إلى قادة اليهود. كان اليهود يعترفون بفخر بإبراهيم كأبوهم حسب الجسد (راجع لوقا ٣: ٨؛ ١٦: ٢٤، ٣٠؛ يوحنا ٨: ٣٩، ٥٣، ٥٦؛ أعمال ٧: ٢)[٥].

توجد عبارة «حسب الجسد» في النص الأصلي بعد كلمة «أبانا» مباشرة. وعندما تكون في هذا الموقع من الجملة تدل على أن إبراهيم كان سلف الأمة اليهودية بحسب الجسد. ولكن يعتقد البعض ان عبارة «حسب الجسد» يجب أن تفيد معنى الكلمة «وَجَدَ»، وهذا أقل احتمالاً ولكنه ممكناً. وهذا يجعل بولس يسأل: «ما الذي اكتشفه إبراهيم بما يختص بالتبرير بأعمال الجسد {أي أعمال الجدارة}؟»

[٣] ترجمت كلمة «أبانا» هنا من كلمة يونانية مركبة «بروباتور προπάτωρ» (أي «بروباتور πρὸ» بمعنى «قبل» بالإضافة إلى «باتر πατήρ») أي «أب».

[٤] سندرس كلمة «جسد» («ساركس σὰρξ») في سياق أصحاح قادم. يعتمد معنى كلمة «ساركس σὰρξ» في هذه الآية على المكان الذي توجد به العبارة «حسب الجسد» في الجملة.

[٥] أسمى بولس إبراهيم في وقت لاحق من الأصحاح الرابع «لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» (رومية ٤: ١١) - يهوداً كانوا أم أمميين، ولكن وضَع بولس في بداية هذا الأصحاح التوكيد على علاقة إبراهيم مع اليهود بحسب الجسد.

ربما كان لبولس عدة اسباب لذكر إبراهيم في حديثه عن التبرير بالإيمان. في المقام الأول، بعد ما يقدم المعلم المبدأ {أو القاعدة}، يستحسن له أن يقدم بعد ذلك مثال قوي لذلك المبدأ {أو تلك القاعدة}. تسمى الأمثلة التوضيحية النوافذ التي يضيء منها الحق.

لماذا استخدم {بولس} إبراهيم كمثال؟ كان باستطاعة بولس أن يستخدم الكثير من أبطال العهد القديم (راجع عبرانيين ١١). فلماذا استخدم إبراهيم بالتحديد؟ كان لليهود شعور خاصة نحو «أبانا إبراهيم». لم يكن هناك من يكرمونه أكثر مما يكرمون إبراهيم. إذا كان باستطاعة بولس أن يثبت أن ذلك السلف الموقر كان قد تبرر بالإيمان، يكون قد تخطى خطوة كبيرة نحو إثبات حجته لليهود.

ربما اختار بولس إبراهيم أيضاً لسبب آخر. لو طلب من اليهود تقديم مثال لإنسان صالح إلى حد انه يمكن ان ينال التبرير بأعماله، فربما كانوا سيختارون إبراهيم في المقام الأول.

> يصعب المبالغة في أهمية إبراهيم في الديانة اليهودية. لقد كان بطلاً يعبد الإله الواحد الحقيقي في وسط شعوب تعبد الأوثان. يُعتقد انه كان يعمل بوصايا الله حتى قبل أعطاء تلك الوصايا. كان يعتبرونه مع اسحق ويعقوب كمن لم يخطئوا ضد الله.

إذن إذا كان لبولس أن يقنع اليهود بان إبراهيم تبرر بالإيمان بدلاً من الأعمال، يكون قد نفذ إحدى «أقوى» حججهم عن «التبرير بالأعمال»!

ملاحظة وثيق الصلة بالموضوع (آية ٢)

استعد بولس لتفحص حياة إبراهيم. «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ ...» (٤: ٢). قال بولس قبلاً أن عقيدة التبرير بالإيمان قد أبطلت الافتخار (راجع ٣: ٢٧). لكان قد وافق مع أصحابه اليهود انه لو كان هناك من يفتخر بأعماله، لكان ذلك هو إبراهيم. كان إبراهيم شخصية استثنائية. هو الإنسان الوحيد الذي قال عنه الله «خليلي» (إشعياء ٤١: ٨؛ راجع أخبار الأيام الثاني ٢٠: ٧؛ يعقوب ٢: ٢٣). لو كان إبراهيم قد تبرر بأعماله، لا شك أن يكون له شيء يفتخر به. بعد ما قال بولس هذا، أضاف سريعاً «... وَلكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ» (رومية ٤: ٢).

يبذل المفسرون الجهد لمعرفة ما تعنيه عبارة «وَلكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ». ورد بالنص الأصلي «ليس {أوو οὐ} مع {پروس πρὸς} الله {ثيو θεοῦ}». ربما المقصود به إجراء التباين: كان لإبراهيم شيء يفتخر به كما كان الناس يعتبرون ذلك، ولكن بالنسبة لله، لم يكن له سبب للتباهي[٦].

ينبغي لنا جميعنا أن ندرك أنه مهما كنا صالحين، ومهما فعلنا من أعمال صالحة، لا يمكن أبداً أن نجعل الله مديون لنا. حتى ولو كان إبراهيم كاملاً (وهو لم يكن كذلك)، لِمَا كان له شيء يفتخر به «من وجهة نظر الله». أذكر ما ورد في إنجيل لوقا ١٧: ١٠: «... مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا».

المبدأ الحي (الآية ٣)

لا يشك حداً في أن إبراهيم كان إنسان «متبرر». السؤال هو على أي أساس تم تبريره؟ إن لم ينظر الله إلى أعمال إبراهيم ويقول: هذا يكفي لخلاصك»، إذن على أي أساس برر الله «أبانا إبراهيم»؟ إقتبس بولس من نص مشهور: «لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ»[٧]؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» (٤: ٣). جاء هذا الاقتباس من سفر التكوين ١٥: ٦. أشار بولس إلى هذه الآية عدة مرات في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية (الآيات ٣، ٩، ٢٢، ٢٣). قد يعُتبر هذا الأصحاح كشرح لما ورد في تكوين ١٥: ٦).

كانت خلفية الأصحاح ١٥ من سفر التكوين معروفة لدى الذين كتب إليهم بولس هذه الرسالة. لنراجع هذه القصة في حاران عندما بلغ إبراهيم من العمر خمس

---

[٦] هناك معنى آخر محتمل لهذه العبارة وهو لو كان إبراهيم قد افتخر، لكان يمجد نفسه بذلك وليس الله.

[٧] لاحظ صيغة المضارع المستعملة لكلمة «يقول». كتب سفر التكوين قبل ذلك الوقت بحوالي ١٥٠٠ سنة، ولكن بولس اعتبره كتاب حي (راجع عبرانيين ٤: ١٢) والذي ظل يتكلم إلى الناس في أيامه.

وسبعين سنة (تكوين ١٢: ٤)، قال له الله: «فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً ...» (تكوين ١٢: ٢). عندما وصل إلى أرض كنعان، قال له الرب: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ ...» (تكوين ١٢: ٧). هذا الوعد يستلزم بان يكون لإبراهيم وزوجته سارة ابناً واحداً على الأقل. ولكن مرت السنون وبقى إبراهيم وسارة بلا أطفال. وكانا يتقدمان في العمر. بدأ إبراهيم يتساءل {في نفسه} كيف يمكن تتميم وعد الله هذا (راجع ١٥: ٢ و٣)[٨].

عندما بلغ إبراهيم حوالي الخامس والثمانين من عمره (راجع تكوين ١٦: ١٦)، أكد له الله ذلك الوعد ثانية. أخذ الله يمشي مع إبراهيم في إحدى الليالي تحت نجوم السماء. وقال له: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا ...» (تكوين ١٥: ٥). وأكد له قَائلاً: «... هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ» (تكوين ١٥: ٥). يبدو من وجه نظر الإنسان انه وعد يستحيل تتميمه. «فَآمَنَ بِالرَّبِّ {في تلك اللحظة الحاسمة} فَحَسِبَهُ لَهُ {الرب} بِرًّا» (تكوين ١٥: ٦).

يجب أن نفهم حقيقتين عما ورد في تكوين ١٥: ٦. أولا: لا يجب أن نظن بان هذه هي المرة الأولى التي آمن فيها إبراهيم بالرب. كان الله قد ظهر لإبراهيم قبل ذلك بعدة سنين عندما كان في أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ[٩] (أعمال ٧: ٢؛ راجع تكوين ١٥: ٧؛ نحميا ٩: ٧) وقال له: «اُخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ، وَهَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ» (أعمال ٧: ٣). وفي حاران ظهر له الله مرة أخرى وكرر له الشيء نفسه (تكوين ١٢: ١؛ راجع الآية ٤). قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي» (عبرانيين ١١: ٨). استمر كاتب العبرانيين قائلا: «بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ {إبراهيم} فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ {كنعان} كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ ...» (الآية ٩). كانت حياة إبراهيم كلها مبنية على إيمانه بالله. عند استخدام كلام بولس في الأصحاح الأول من الرسالة إلى أهل رومية قد نقول أن حياة إبراهيم كانت «بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ» (رومية ١: ١٧). وبهذا لا يكون ما ورد في تكوين ١٥: ٦ أول إشارة إلى بداية إيمان إبراهيم.

ثانياً: لا يجب أن نستخلص أن تكوين ١٥: ٦ يتحدث عن أول تبرير لإبراهيم – أي النقطة التي (كما يقول البعض) «خلص» فيها. لِمَا أعطى الله عدة وعود مذهلة لإبراهيم من قبل إن لم يكن يعتبره ابناً له. قال ملكيصادق عندما لقاه إبرام: «مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» (تكوين ١٤: ١٩). بعد ذلك بفترة قصيرة قال الله نفسه لإبراهيم: «لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا» (تكوين ١٥: ١). لا شك في أن إبراهيم تبرر قبل تكوين ١٥: ٦.

إذا كان هذا صحيح، لماذا استخدام بولس ما ورد في تكوين ١٥: ٦ ليثبت أن إبراهيم كان قد تبرر بالإيمان؟ في ما يلي أربع أسباب لذلك:

(١) مع أن الكتاب الموحى إليهم تحدثوا لاحقاً عن إيمان إبراهيم قبل تكوين ١٥: ٦، إلا أن هذه هي المرة الأولى التي يقال فيها في الكتاب المقدس أن إبراهيم آمن {بالله}. (بل هذه أول مرة يستخدم فيها الكتاب المقدس كلمة مثل «آمن/يؤمن» أو «إيمان» للإشارة إلى أي شخص)[١٠].

(٢) مع انه يتضح أن إبراهيم كان باراً قبل هذه المناسبة، إلا أن هذه أول مرة يرد فيها كلمة «بر» في سفر التكوين في إشارة إليه.

(٣) تقول هذه الآية بصفة خاصة أن إبراهيم تبرر بالإيمان.

(٤) قيلت هذه العبارة قبل أربع عشرة سنة من اختتان إبراهيم، عند ترتيب الأحداث بحسب التسلسل الزمني (راجع تكوين ١٦: ١، ١٦؛ ١٧: ١، ٩، ٢٤) وقبل مئات السنين من إعطاء ناموس موسى (راجع غلاطية ٣: ١٦ و١٧).

---

[٨] راجع الدرس الذي بعنوان «أقتفاء أثر إبراهيم»، صفحة ... من هذا العدد.

[٩] راجع الخريطة على صفحة ... من هذا العدد.

[١٠] كان لآخرين أيضاً إيمان قبل تكوين ١٥: ٦ (راجع عبرانيين ١١: ٤، ٥، ٧)، ولكن هذه أول مرة في سفر التكوين التي ترد فيها هذه الكلمة.

مع أنه كُتِبَ ما ورد في تكوين ١٥: ٦ عن حدث معين، إلا أن الكُتَّاب الموحى إليهم رأوا أن تلك كانت خلاصة مناسبة لحياة إبراهيم كلها. في غلاطية ٣: ٦-٩ ربط بولس هذه الآية بوعد قطعه الله مع إبراهيم سابقاً في تكوين ١٢. اقتبس في الجزء الأخير من رومية ٤ ما ورد في تكوين ١٥: ٦ في صلة مع الوعد بالابن الذي أُعطيَ لإبراهيم بعد حوالي أربع عشرة سنة من سيرته مع الله منذ تلك الليلة الميئة بالنجوم المتلألأة (رومية ٤: ١٨-٢٢). في رسالة يعقوب ٢: ٢١-٢٤، شبه يعقوب ما ورد في تكوين ١٥: ٦ بتقديم إبراهيم ابنه على المذبح.

السبب الثالث من الأسباب التي ورد ذكرها أعلاه هو بالحقيقة السبب الرئيسي الذي من أجله اختار بولس أن يستخدم ما ورد في تكوين ١٥: ٦ في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية. تقول هذه الآية بصفة خاصة أن إبراهيم تبرر بالإيمان - ولم تذكر أعماله. حاول بعض المعلمين اليهود جعل ما ورد في تكوين ١٥: ٦ يتناسب مع تعليمهم بان إبراهيم تبرر بالأعمال. عدلوا نص هذه الآية لتصبح كما يلي: «كان أميناً لله فَحُسِب له ذلك براً»- ولكن ليس هذا ما تقوله الآية، بل تقول: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» {رومية ٤: ٣}.

كان اليهود يشددون على أن الله اختار إبراهيم لأنه كان أفضل إنسان على قيد الحياة في ذلك الزمان - وأنا لا اعترض على ذلك. يقولون أن إبراهيم سلك في سبيل الإله الحقيقي بينما التمس باقي العالم كله طريقه في ظلام الوثنية - وهذا صحيح. كانوا يعتبرونه كأسمى مثال لإطاعة الله حتى عندما كانت إطاعته لا تتماشى مع تفكير الإنسان - وكانوا على حق في ذلك. كانوا على حق في كل هذا. ولكنهم أخطأوا عندما قالوا أن إبراهيم تبرر على أساس إحسان بشري. قال بولس أن الأمر لم يكن كذلك. بل «{آمن} إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا».

«فَحُسِبَ لَهُ» (٤: ٣ و٥)

اعلان حقيقة رائعة

ينقلنا هذا إلى «ترتيب حساب الله» لإبراهيم - ولنا نحن. تتم معظم الحسابات في يومنا هذا على الكمبيوتر. ولكن عندما كنتُ صبياً، كانت معظم الحسابات تتم في كراسات تسمى بدفاتر حسابات. ويسمى إدخال المعلومات في هذه الدفاتر بـ«مسك دفاتر» {أو «ضبط الحسابات»}. هناك حساب الدائن والمدين حساب الدخل والمصروفات (أي الصادر والوارد). من إحدى مهامات المحاسب هو التأكيد من أن المبالغ في العمودين يتناسبان مع بعضهما.

ذكرتُ سابقاً أن جي دي توماس درسني سفر رومية في جامعة أبيلين المسيحية. بينما كان توماس يتحدث عن رومية ٤، رسم على السبورة مستطيلاً وكتب فوقه «سجل الله». ثم رسم عمود «الدائن» على اليسار وعمود «المدين» على اليمين. كتب في عمود «الدائن» كلمة «خطيئة» وبدأ يضع علامات «x» وهو يتحدث عن الخطيئة في حياة إبراهيم.

بالرغم من صلاح إبراهيم إلا انه أخطأ أيضاً. حاول الكثير من اليهود التغاضي عن (أو يعذروا) خطايا إبراهيم، حتى القراءة السطحية لقصة حياته تبين بعض العيوب. على سبيل المثال، «كذب» إبراهيم «بالاغفال» مرتين بسبب خوف على سارة (تكوين ١٢: ١٠-٢٠؛ ٢٠: ١-١٨). يظن الكثير من الناس أن إبراهيم قد أخطأ إذ سمح بسوء معاملة هاجر (تكوين ١٦: ٦-١٤). حتى إيمان إبراهيم هذا لم يكن كاملاً كما سنرى في درس قادم. أي بعبارة أخرى، كان إبراهيم بشراً وكان يواجه التجارب كما يواجهها جميع البشر.

بحلول هذا الوقت «جمع» توماس الخطايا (علامات x) الموجودة في عمود «الدائن» من دفتر الحساب الذي رسمه على السبورة. قال «فعل إبراهيم أيضاً أحسان، وكان الله يعرف ذلك». فوضع علامتي x في ذلك العمود. ولكنه شدد على انه ليست هناك كمية من احسان إبراهيم تستطيع أن «تسد» الخطايا التي ارتكبها. فقال أن الحالة تبدو بلا أمل.

وبعد ذلك ذكر لنا توماس معنى الكلمة «لوقيزوماي λογίζομαι». أضاف كلمة «إيمان» على السبورة قائلاً: «كتب الله كلمة «إيمان» في عمود الرصيد، وقد حسب ذلك براً، كما كان يجب أن يكون إبراهيم». ثم بعد ذلك أضاف علامات «x» عند نهاية عمود «المدين» لكي

«يرصد دفتر الحساب».

اعتذر توماس بسبب عيوب هذا الرسم البياني؛ إذ قال ليس هنال مثال توضحي كامل، ولكني أريد وضع التوكيد على أن الله لم ينظر إلى طاعة إبراهيم الكاملة (ولم تكن كاملة بالحقيقة)، بل نظر إلى إيمانه. عندما رأى الله إيمان إبراهيم، حسبه له براً. «اعتبر إيمانه براً». وقف للحظة ثم أضاف قائلاً: «وعلى هذا الأساس يخلصنا نحن أيضاً».

لقد سمعتُ الناس يقولون انهم عندما سمعوا هذه الحقيقة للمرة الأولى، تنفسوا الصعداء. يبدو انهم كانوا يعرفون الله العادل فقط وكانوا يخافون انهم قد «لا يعملون ما يكفي لدخول السماء». ولكني لا أتذكر رد الفعل على مثل هذا في ذلك الفصل. إني لا أتذكر انني قلقتُ من قبل عن «عمل ما يكفي» لإرضاء الله. عندما يُصاب الشخص بما قال عنه أحدهم «لعنة الكمالية»، أعرف انني لستُ كل ما كان ينبغي لي أن أكون. ومع ذلك، علمني والديَّ وآخرون عن إله المحبة. (عليَّ أن أعترف أيضاً بانني عندما درستُ الرسالة إلى أهل رومية، لم أكن أجهل أشياء كثير فحسب، بل كنتُ أيضاً شاباً مليئاً بالحماسة مستعداً لعمل أشياء عظيمة للرب. فلماذا أقلق؟)

ما أتذكره هو انني شعرتُ عندما رسم توماس ذلك الرسم البياني على السبورة بالرغبة بشيء من الإثارة لتعليم شيئاً جديداً وكسب المزيد من البصيرة. ربما كنتُ أيضاً شكوكي بعض الشيء. بدأ ذهني يعالج المعلومات مقارناً إياها بما كنتُ قد تعلمته من قبل من الكلمة (أعمال ١٧: ١١). وتدريجياً فهمتُ أهمية تعليم بولس في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية. وفي السنوات التالية زاد تقديري لهذا الأصحاح العظيم.

عندما تخرجتُ وبدأتُ أعمل واعظاً، اتضح لي سريعاً أن الحقائق الواردة في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية يحتاج إليها الكثير من الإخوة والأخوات في المسيح. لم يكن نادراً أن يسأل أحد أعضاء الكنيسة: «متى يعرف الشخص انه قد فعل ما يكفي لدخول السماء؟» كانت الإجابة الشائعة للسؤال: «هل نلت الخلاص؟» هي «أني آمل انني قل خلصتُ». يبذل بعض من مدرسي الكتاب المقدس قصارى الجهد لفهم كلام يوحنا الجريء: «كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً ...» (١ يوحنا ٥: ١٣). يستغربون كيف يمكن لبولس أن يكون واثقاً إذا قال: «وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ ...» (٢ تيموثاوس ٤: ٨).

أصبحتُ أدرك شيئاً فشيئاً أيضاً أهمية تعليم بولس لي شخصياً. زادت معرفتي أكثر فأكثر عن مدى قصور أدائي أمام الله. وأيضاً بمرور الوقت، قد نفد ما كنتُ أظنه مصدر قوة لا ينفد. إني أُقدِّر يوما بعد يوم الحقيقة أن الله لا ينظر إلى أعمالي الناقصة وبلا القيمة والمعيبة دائماً – بل ينظر إلى إيماني. شكراً لله!

وضع سؤال جاد في الاعتبار

أهذا يعني أن الأعمال غير ذات أهمية؟ عندما اقتبس بولس من تكوين ١٥: ٦ هل أراد أن يعلم أن أعمال إبراهيم لم تكن ذات أهمية؟ كلا. قلتُ قبل وقت قليل أن كُتَّاب العهد الجديد يعتبرون ما ورد في تكوين ١٥: ٦ ملخصاً لحياة إبراهيم. أنظر إلى الأمثلة التي استخدموها. في غلاطية ٣: ٦-٩ ربط بولس هذه الآية بكلام الله في الأصحاح ١٢ من سفر التكوين حيث دعى الله إبراهيم مرة أخرى ليذهب إلى كنعان. قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين بخصوص تلك الدعوة: «بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا ...» (عبرانيين ١١: ٨). ماذا لو لم يكن إبراهيم قد أطاع الله؟ ألا يعني ذلك انه لم يؤمن؟

في الرسالة إلى أهل رومية كان بولس يفكر بصفة أساسية بالسياق الأصلي لتلك الآية (راجع ٤: ٤٠)، ولكنه شمل أيضاً الوعد المحدد بالابن بعد أربع عشرة سنة (راجع ٤: ١٩). أكد الله لإبراهيم انه سيكون له ابناً – ولكن عندما وُلِدَ إسحق أخيراً. لم يكن ذلك ولادة عذرية. ماذا لو كان إبراهيم قد رفض أن تكون له علاقة زوجية مع سارة، بل آمن فقط بالله» وانه سيتمم وعده؟ لكان هذا النوع من العمل (أو عدم العمل) يبين عدم الإيمان وليس الإيمان.

النص الذي استخدمه يعقوب جاء بعد عدة سنين عندما أوصى الله إبراهيم أن يقدم ابنه اسحق ذبيحة له. كتب يعقوب قائلاً:

> أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ، وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» ... (يعقوب ٢: ٢١-٢٣).

بما يختص بذلك الحدث، قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين:

> بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَالٍ (عبرانيين ١١: ١٧-١٩).

عندما أوصى الله إبراهيم بان يقدم ابنه ذبيحة، ماذا لو كان إبراهيم قد رفض؟ لا يتضح أن مثل هذا القرار كان سيعبر عن عدم الإيمان بدلاً من إيمان مطلق بالله «الذي يقوم الناس من الموت»؟

تظهر أهمية أعمال إبراهيم في كلام الله لإسحق في الأصحاح ٢٦ من سفر التكوين:

> ... لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ (تكوين ٢٦: ٣-٥).

نعم كانت لأعمال إبراهيم أهمية. عندما نضع في الاعتبار العصر الذي عاش فيه إبراهيم والظروف التي خدم الرب تحتها، نجد أن استجابته للرب شيء عجيب أو حتى مذهل. ولكن أرجو ألا تنسى عاملين أساسيين: (١) عندما نتحدث عن أعمال إبراهيم، لا نتحدث عن «أعمال الاستحقاق/الجدارة»، بل عن «طاعة الإيمان». (٢) مع أن أعمال إبراهيم كانت استثنائية، إلا انها لم تكن كاملة. كان عليه أن يخلص بالنعمة بالإيمان (راجع أفسس ٢: ٨). لهذا تضع الأسفار المقدسة التوكيد قائلة «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» (رومية ٤: ٣).

جعل الحقيقة العجيبة شخصية

لم يخلص إبراهيم وحده على أساس إيمانه فحسب، بل سنرى في الدروس القادمة باننا نخلص على هذا الأساس نفسه. نحن أيضاً نستفيد من «ترتيب حساب الله العجيب» (راجع رومية ٤: ٥). كتب بولس قائلاً: «وَلكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ {أجل إبراهيم} وَحْدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ، بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ» (رومية ٤: ٢٣ و٢٤). حالما ندرك هذا الحق، يجب أن يترك في حياتنا تأثير كبير.

(١) يجب أن يملأنا بالرجاء. المسيحيون غير الملتزمين والذين تعوزهم الحماسة لا يهتمون بـ«عمل ما يكفي» للرب. وفي التباين، كل مسيحي حي الضمير يشعر بعدم استحقاقه ويعرف كم هو أقل مما ينبغي له أن يكون. أليس رائعاً أن تعرف انه بينما يطلب الله الطاعة، إلا انه لا يطلب الطاعة الكاملة؟ انه يتوقع منا أن نعمل كل ما بوسعنا، ولكن اهتمامه الأكبر هو الدافع وراء الطاعة، ألا وهو: إيماننا. كتب وليم باركلي عن «المعركة الخاسرة» التي يقاتل فيها البعض «لإستحقاق محبة الله»، بينما ما ينبغي لهم معرفته هو أن «يقبلوا بثقة تامة المحبة التي يقدمها الله إلينا»[١١].

(٢) يجب أن تملأنا بالمحبة. كيف لا نحب من أحبنا هكذا (١ يوحنا ٤: ١٩)؟ عندما نفهم اننا «متبررين بالإيمان»، سيكون لنا «احساس غامر بالاعجاب بسبب ما عمله الله لأجلنا، الاعجاب الذي ... يتسرب إلى عبادتنا {لله}». لا تكون العبادة في ما بعد مجرد واجب إدائها، بل امتياز للاستمتاع به. وتحمل الترانيم عن النعمة معاني جديدة!

(٣) يجب أن تحضنا للعمل. البعض منا قلق من اننا إذا علمنا {الناس} «التبرير بالإيمان»، فسيرى الناس

---

[١١] وليم باركلي في تفسيره بعنوان «The Letter to the Romans» من سلسلة «The Daily Study Bible Series»، صفحة ٦٤.

انه ليس هناك حاجة إلى العمل، ولا إلى الطاعة. عند فهم عقيدة «التبرير بالإيمان» فهماً صحيحاً - يؤدي إلى المزيد من الجهد، وليس أقل جهد، كما سنرى. لقد بذل المسيح نفسه لأجلي، فكيف لا أكرس له كل كياني؟

الخلاصة

أليس «ترتيب حساب الله» عجيب حقاً؟ اتمنى لو انك تعتقد ذلك. سنستمر في الحديث عن هذا في الدروس القادمة.

يحتمل أن التعليم الوارد في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية يكون جديد لك، كما كان هو جديد عليَّ عندما درسني اياه توماس قبل عدة سنين. أرجو ألا تقلق إن لم تفهمه فهماً كاملاً حالاً. في الدرس الأول من هذه السلسلة، ذكرتُ أن الرسالة إلى أهل رومية كُتِبَت في حوالي سنة ٥٧ أو ٥٨م. كان ذلك بعد ما يقارب ثلاثة عقود منذ تأسيس الكنيسة. فكر بجميع الذين أصبحوا مسيحيين وماتوا دون أن يقرأوا أبداً رسالة بولس إلى أهل رومية. لستُ أهتم كثيراً عما إذا كنت ستذهب إلى السماء دون أن تفهم الرسالة إلى أهل رومية بقدر اهتمامي باعطائك الحقائق التي قد تشجعك وتجعلك تبقى أميناً لله.

تخيل شخصين يركبان في طائرة تحلق فوق محيط. أحدهما هادىء (يثق في الطائرة والطيار)، بينما يكون الشخص الآخر مذعوراً طول الرحلة. وصل كلا الرجلان بأمان إلى المكان الذي كانا يقصدانه، ولكن كان الشخص الأول قد استمتع بالرحلة الجوية، بينما كانت تلك رحلة نفسها عذاب بالنسبة للشخص الثاني. فهمك للرسالة إلى أهل رومية لا يعطيك القوة «لرحلتك إلى السماء» فحسب، بل أيضاً يجعلك تستمتع بالرحلة!

في الختام، أشجعك مرة أخرى على ان تستجب بالمحبة إلى الرب إن لم تكن قد فعلت ذلك بعد.

أنت تتبرر على أساس الإيمان، ولكن الإيمان الذي يخلص هو الإيمان المطيع. إن كنت تؤمن حقاً بيسوع بما عمله لأجلك، عبر عن إيمانك بالطاعة - اليوم!

مذكرة للمبشرين والمعلمين

قد تفضل تسمية هذا الدرس بـ«نظام الله العجيب لرصد الحساب» أو «كيف يرصد الله الحساب». عندما تستخدم هذا الدرس، عليك أن تشجع أيضاً المسيحيين غير الأمناء للرجوع إلى الرب (١ يوحنا ١: ٩؛ يعقوب ٥: ١٩): «الإخلاص حياة الإيمان».

«قطع بولس طريقه خلال مواضيع مكثفة والختان والكبرياء في رومية ٤: ١-١٢ لكي يخلق وضوح حيث ينمو الإيمان».

الرسالة إلى أهل رومية
بقلم جيمس آر إدواردس

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩

بولس يواجه يعقوب؟

كون أن رسالة يعقوب ٢: ٢١ تقول أن إبراهيم تبرر بالأعمال يقلق البعض. ربما هذا هو الجزء من رسالة يعقوب الذي جعل مارتن لوثر يقول عن هذه الرسالة بانها «رسالة ليست بذات قيمة». في الواقع قال بولس في رومية ٤: ٢ أن إبراهيم لم يتبرر بالأعمال. ويشدد يعقوب من ناحية أخرى أن إبراهيم تبرر بالأعمال. كيف يمكن التسوية بين ما قاله بولس وما قاله يعقوب؟

هذان الكاتبان {بولس ويعقوب} يتحدثان عن نوعين مختلفين من الأعمال. كان بولس يتحدث عن أعمال الجدارة/الاستحقاق: القيام بأعمال من أجل الحصول على الخلاص. أما يعقوب فكان يتحدث عن أعمال الطاعة: الأفعال التي تعبر عن إيماننا بالله. عندما تقرأ كلام بولس القوي عن «الأعمال» في الرسالة إلى أهل رومية، أرجو أن تتذكر انه لم يقلل أبداً من أهمية الطاعة. لقد تحدث عدة مرات عن «طاعة الإيمان» رومية ١: ٥؛ ١٦: ٢٦؛ راجع ٦: ١٧؛ ١٠: ١٦).

كان بولس ويعقوب كلاهما موحى إليهما من قبل الروح الواحد (أفسس ٤: ٤). انهما لا يناقضان بعضما البعض. بل تكلما بالحقيقة نفسها بوضع التوكيد على مكانين مختلفين.

بولس:

طاعة الإيمان:

الَّذِي بِهِ، لأَجْلِ اسْمِهِ، قَبِلْنَا نِعْمَةً وَرِسَالَةً، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ (رومية ١: ٥).

يعقوب:

طاعة (أو «أعمال») الإيمان:

تَرَوْنَ إِذًا أَنَّهُ بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَبِالإِيمَانِ وَحْدَهُ (يعقوب ٢: ٢٤).